

فقه الأسماء الحسنى

الودود

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٢٠-١١-١٤٢٨هـ

تفریغ: النجمة السلفية

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.
أمّا بعد،

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته... معاشر المستمعين،
ومن أسماء الله الحسنى: الودود.

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرتين:
الأولى: في قوله -تعالى-: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

والثانية: في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) [الروح: ١٣-١٤].

ومعناه أي: الذي يُحبُّ أنبياءه ورسوله وأتباعهم ويحبونه، فهو أحبُّ إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم محبةً له.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- في تقرير عظيم له في بيان معنى هذا الاسم ودلالاته، قال: "الودود: أي المتودّد إلى خلقه بنعوته الجميلة، وآلائه الواسعة، وألطافه الخفية، ونعمه الخفية والخلية، فهو الودود بمعنى الوادّ ومعنى المودود، يحب أوليائه وأصفياه ويحبونه، فهو الذي أحبههم وجعل في قلوبهم المحبة، فلما أحبوهم أحبههم حباً آخر جزاءً لهم على حبهم.

فالفضل كلّه راجعٌ إليه، فهو الذي وضع كلّ سببٍ يتودّدون به، ويجلب قلوبهم إلى ودّه.

تودّد إليهم بذكر ما له من النعوت الواسعة العظيمة الجليلة الجاذبة للقلوب السليمة والأفئدة المستقيمة.

فإن القلوب والأرواح الصحيحة مجبولة على محبة الكمال، والله -تعالى- له الكمال التام المطلق، فكلُّ وصفٍ من صفاته له خاصية في العبودية وانجذاب القلوب إلى مولاه.

ثم تودّد لهم بآلائه ونعمه العظيمة، التي بها أوجدتهم، وبها أبقاهم وأحياهم، وبها أصلحهم، وبها أتمّ لهم الأمور، وبها كمل لهم الضروريات والحاجيات والكماليات، وبها هداهم للإيمان والإسلام، وبها هداهم لحقائق الإحسان، وبها يسّر لهم الأمور، وبها فرّج عنهم الكربات، وأزال المشقات، وبها شرّع لهم الشرائع، ويسرّها، ونفى عنهم الحرج، وبها بيّن لهم الصراط المستقيم، وأعماله، وأقواله، وبها يسّر لهم سلوكه وأعانهم على ذلك شرعاً وقدرًا، وبها دفع عنهم المكارّه والمضار كما جلب لهم المنافع والمصار، وبها لطّف بهم أطفافاً شاهدوا بعضها، وما خفيّ عليهم منها أعظم. فجميع ما فيه خليقة من محبوبات القلوب والأبدان والأرواح الداخلية والخارجية الظاهرة والباطنة فإنها من كرمه وجوده، يتودّد بها إليهم.

فإن القلوب مجبولة على محبة المُحسن إليها، فأبى إحسان أعظم من هذا الإحسان الذي يتعذّر إحصاء أجناسه فضلاً عن أنواعه فضلاً عن أفرادها، وكلُّ نعمة منه تتطلّب من العباد أن تمتلئ قلوبهم من مودّته وحمده وشكره والثناء عليه.

ومن تودّده -سبحانه- أنّ العبد يشترّد عنه، فيتجرأ على الحرّمات، ويُقصّر في الواجبات، والله يستره ويحلّم عنه، ويمدّه بالنعم، ولا يقطع عنه منها شيئاً.

ثم يُقيّض له من الأسباب والتذكيرات والمواعظ والإرشادات ما يجلبه إليه، فيتوب إليه وينيب، فيغفر له تلك الجرائم، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب العظام، ويعيد عليه ودّه وحبّه.

ولعلّ هذا -والله أعلم- سرّ اقتران الودود بالغفور في قوله - تعالى- : ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

ومن كمال مودّته للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح مقدّر، وأنه أرحم بهم من والديهم وأولادهم والناس أجمعين، وأنّ من أحبّه من أوليائه كان معه وسدّده في حركاته وسكناته، وجعله بحباب الدعوة وجيهاً عنده؛ كما في الحديث القدسي: ((لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأُعِذّنه، وما تردّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردّدني عن قبضِ نفسِ عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته)).

وآثارُ حبّه -جل وعلا- لأوليائه وأصفياؤه عليه لا تخطر ببال ولا تحصىها الأقلام.

وأما مودة أوليائه له فهي رُوحهم ورُوحهم وحياتهم وسرورهم، وبها فلاحهم وسعادتهم، بما قاموا بعبوديته، وبها حمدوه وشكروه، وبها لهجت ألسنتهم بذكره، وسعت جوارحهم بطاعته، وبها قاموا بما عليهم من الحقوق المتنوعة، وبها كفّت قلوبهم عن التعلّق بغيره وخوفه ورجائه، وجوارحهم عن مخالفته، وبها صارت جميع محابّهم الدينية والطبيعية تبعاً لهذه المحبة.

أما الدينية فإنهم لما أحبّوا ربهم أحبّوا أنبياءه ورسله وأوليائه، وأحبّوا كلّ عملٍ يُقرّب إليّه، وأحبّوا ما أحبّه من زمانٍ ومكانٍ وعملٍ وعاملٍ.

وأما المحبة الطبيعية فإنهم تناولوا شهواتهم التي جُبِلَت النفوس على محبتها من مأكّلٍ ومشربٍ وملبسٍ وراحةٍ على وجه الاستعانة بها على ما يحبّه مولاها.

وأيضاً فكما قصّدا بها هذه الغاية الجليلة فإنهم تناولوها بحُكم امتثال الأوامر المطلقة؛ في مثل قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [البقرة: ٦٠].. ونحوها من الأوامر والترغيبات المتعلقة بالمباحات والراحات.

فصار السبب الحامل لها امتثال الأمر، والغاية التي قصّدت لها الاستعانة بها على محبوبات الرّب، فصارت عاداتهم عبادات، وصارت أوقاتهم كلّها مشغولة بالتقرب إلى محبوبهم. وكلّ هذه الآثار الجميلة الجليلة من آثار المحبة التي تفضّل بها عليهم محبوبهم.

وتقوى هذه الأمور بحسب ما في القلب من الحبّ الذي هو رُوح الإيمان، وحقيقة التوحيد، وعين التّعبد، وأساس التقرب.

فكما أنّ الله ليس له مثيلٌ في ذاته وأوصافه فمحبتّه في قلوب أوليائه ليس لها مثيل.

ليس لها مثيلٌ ولا نظيرٌ في أسبابها وغاياتها، ولا في قدرها وآثارها، ولا في لذتها وسرورها، ولا في بقائها ودوامها، ولا في سلامتها من المنكّدات والمكدّرات من كلّ وجه.

أيها الإخوة المستمعون.. وإذا عرف العبد بأنّ ربه -سبحانه- ودود يحب أوليائه، ويجب من أطاعه، ويجب المؤمنين المستقين، ويجب الصابرين المتوكلين، ويجب الطائعين، ولا يحب الظالمين الكافرين، ولا يحب الخائنين المسرفين، ولا يحب المختالين المستكبرين، فإنه يجب عليه أن يُطيع أمره، ويفعل ما يحبّه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال، وأن يتقرب إليه -سبحانه- بامتثال أمره واجتناب نهيّه، وحبّ ما يحبّه من الأقوال والأعمال، وحبّ كلامه -سبحانه-، وحبّ رسوله -صلى الله عليه وسلّم-

وسنته والاجتهاد في متابعتها، فبذلك تنال محبة الله، قال الله - تعالى- : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

وفي الدعاء المأثور عن النبي -صلى الله عليه وسلّم-: ((اللهم إني أسألك حبّك، وحبّ من يحبّك، والعمل الذي يقربني إلى حبّك)).

وبهذا الدعاء المبارك تنتهي هذه الحلقة. وإلى الملتقى في الحلقة القادمة إن شاء الله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

